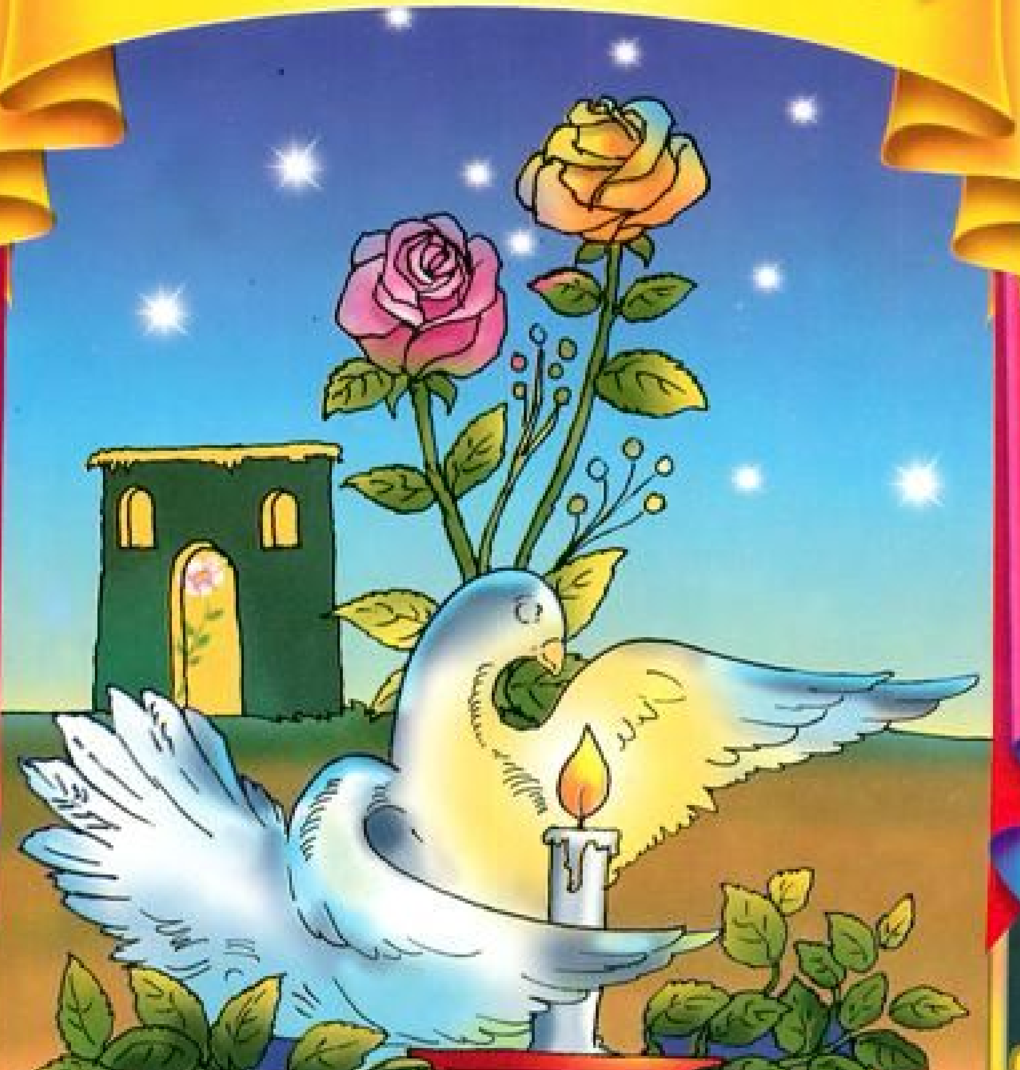
سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين

إسحاق عليه السلام



ظلَّ إبرِاهيم عليه السلام يدعو قومه بعد أن وُضِعَ في النارِ، وبعد أن غَلَبَ الملكَ وأثبت له عجزه، فلم يؤمن به إلا سارة ولوط الذي أصبح نبياً فيما بعد.

فكانت سارة تسافر معه في كل مكان تتحمل معه عبءَ الدعوة إلى الله تعالى، وتتحمل مشاق السفر في سبيل الله تعالى. وقد سافر إبراهيم عليه السلام إلى بلاد كثيرة، فقد سافر إلى بعض بلاد الشام، وأهمها فلسطين، ثم سافر إلى مصر.

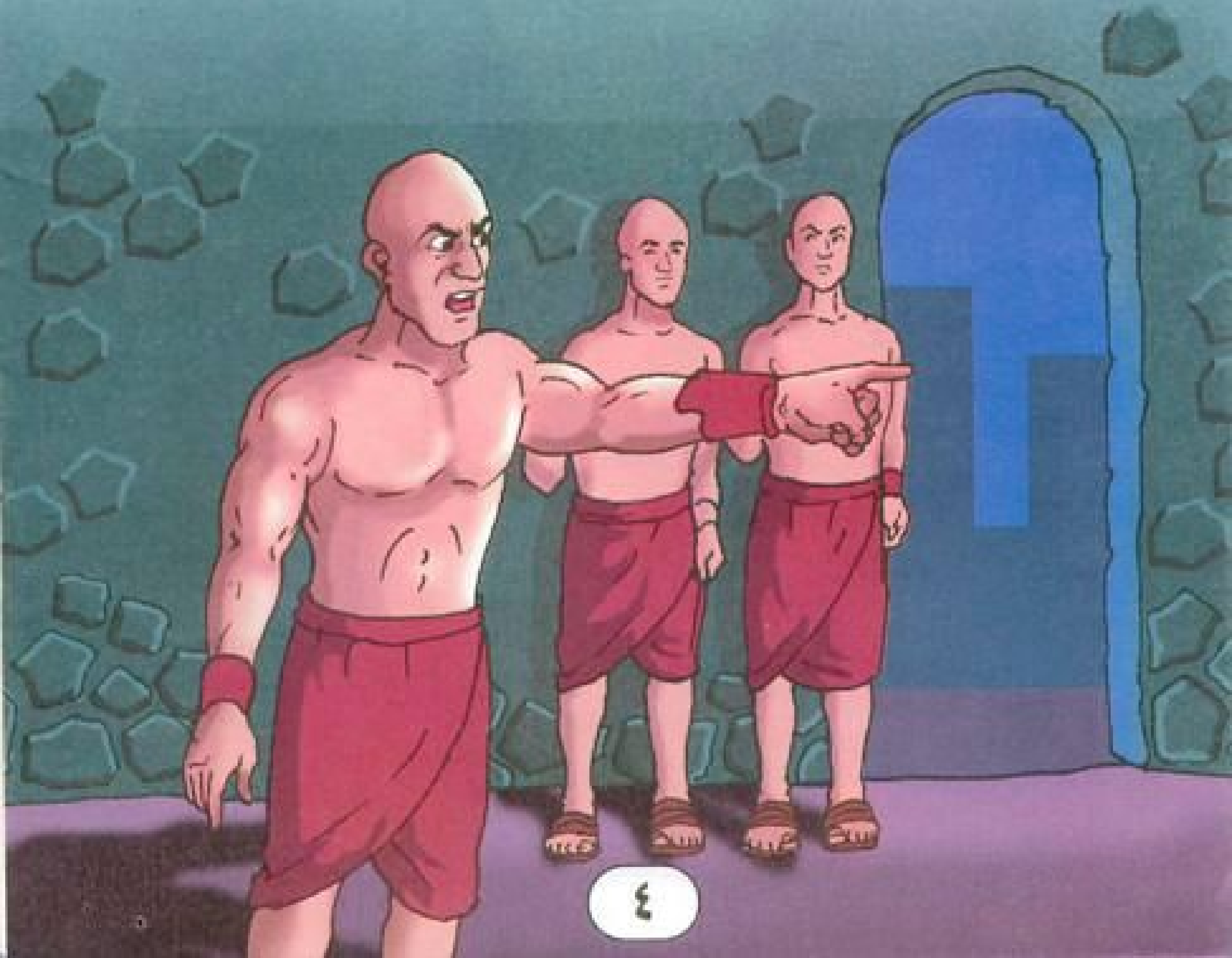


وسافرت سارة مع زوجها إبراهيم عليه السلام إلى مصر، وكان حاكم مصر آنذاك كافراً، يحب النساء، فطار الخبر إليه أن واحداً أتى لمصر ومعه أجمل امرأة رآها الناس، فأرسل إلى إبراهيم ليسألوه، فإن كانت زوجته قتلوه، وإن كان غير ذلك أبقوه، وأمرهم أن يأتوا له بهذه المرأة.

وقد نزل جبريل عليه السلام على إبراهيم يخبره أن يقول لزوجته إن سألها أحد عنه، فلتقل: إنه أخي، لأنهما هما المسلمان فقط في هذه الأرض، فهي أخته في الإسلام.



وجاء الجنود إلى إبراهيم ومعه سارة، ودخلوا عليهما بشراسة وقوة وعنف، ثم سألوا إبراهيم: من هذه منك؟ فقال: إنها أختي. فقالوا: إن الملك يريدها. فقال: ولم؟ قال: لا ندري، ولكن يجب أن نطيع أمر الملك وإلا قتلت.

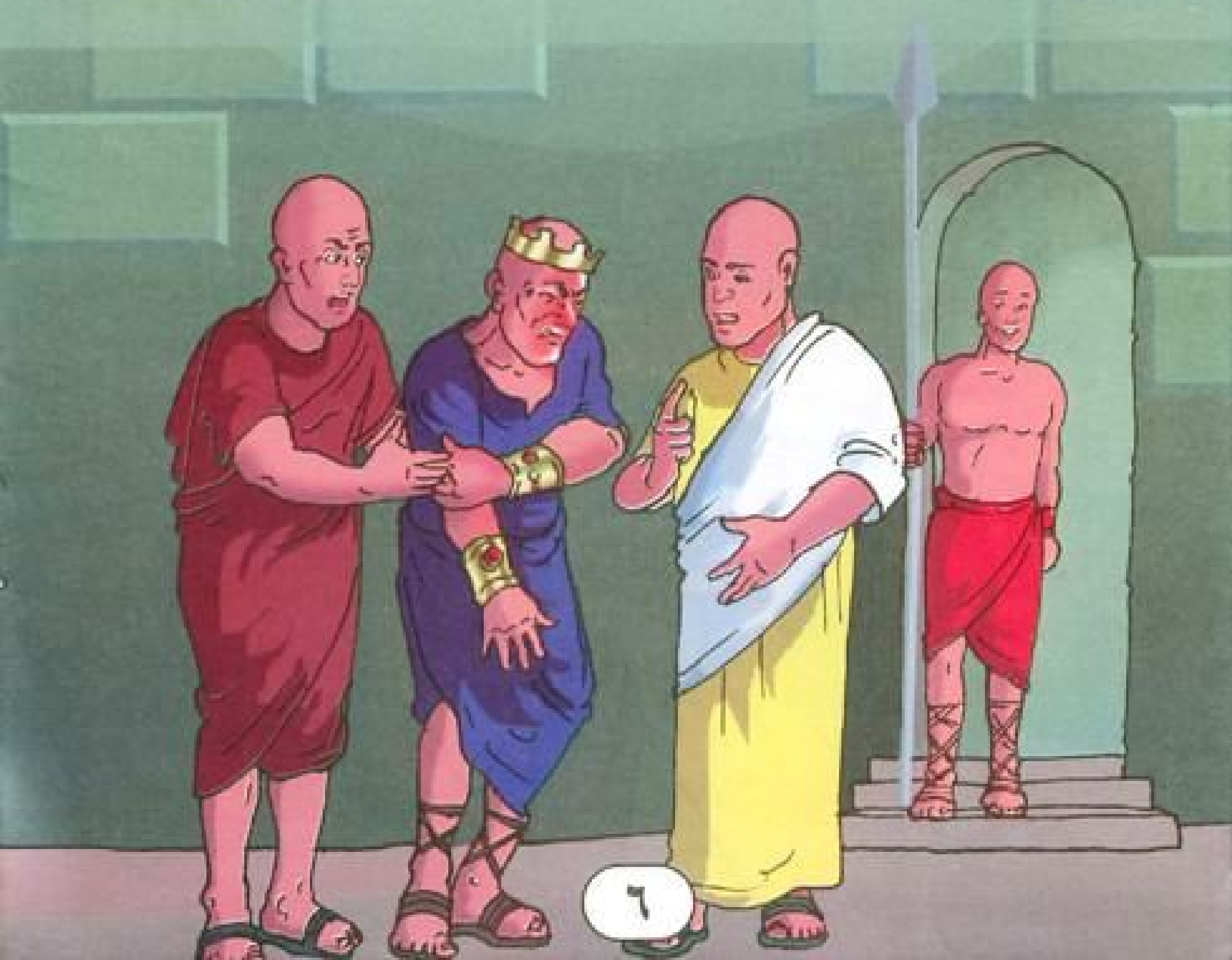


فأخذ إبراهيم يدعو ربه أن يحفظ زوجته من هذا الحاكم الكافر.

وأخذ الجنود سارة، وظلت تدعو الله تعالى وهي في الطريق أن يحفظها من شر هؤلاء الكفرة. ورفعت نظرها إلى السماء، وهي تدعو ربها وتقول: اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا تسلط علي هذا الكافر.



وذهبت سارة إلى قصر ملك مصر، فأخرج من كان عنده، وخلا بها، وحاول أن يمسها، وهي تدعو الله أن يحفظها، فشلت يده، فبدأ الملك في الصراخ والعويل، فجاء إليه جنوده ليفكوا يده، ولكن دون فائدة، فخافت سارة أن يقتلوها بسبب ما حدث له، فدعت الله تعالى أن تتحرك يده، وقالت: يارب اتركه حتى لا يقتلوني به، فعادت سليمة كما كانت.



وظن حاكم مصر أن ما حدث له كان شيئًا عابرًا، فأخذ يتلطف إلى سارة، وهي تهرب منه، فحاول أن يهجم عليها مرة أخرى، وهي تدعو ربها أن يحفظها، فشلت يده، وبدأ يصرخ، وقال لها: فكيني لا أقربك بسوء، فدعت الله تعالى، ولكنه لما تحركت يده حاول أن يعتدي عليها مرة ثالثة، فشلت يده، فأقسم لها إن دعت له أن يتركها وأن يكرمها، فدعت الله تعالى له، فعادت يده سليمة كما كانت.

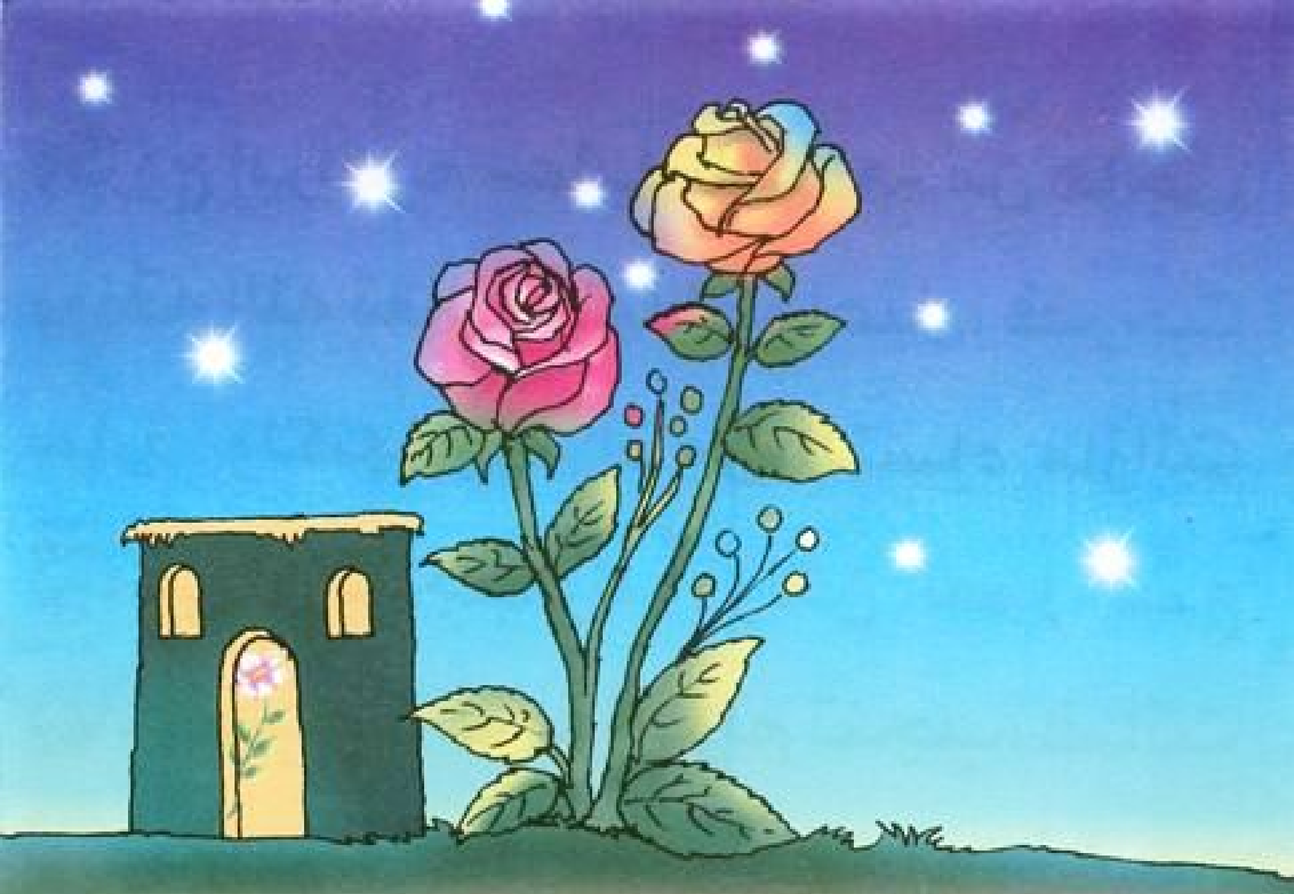


ثم نادى على جنوده، وهو في غضب شديد، وهو يقول لهم: ويحكم إنكم لم تأتوني بإنسان، بل أتيتم لي بشيطان.

ثم أعطاها بعض الذهب، وأعطاها أمة اسمها هاجر، وأمر بإخلاء سبيلها وألا يتعرض لها أحد بشيء.

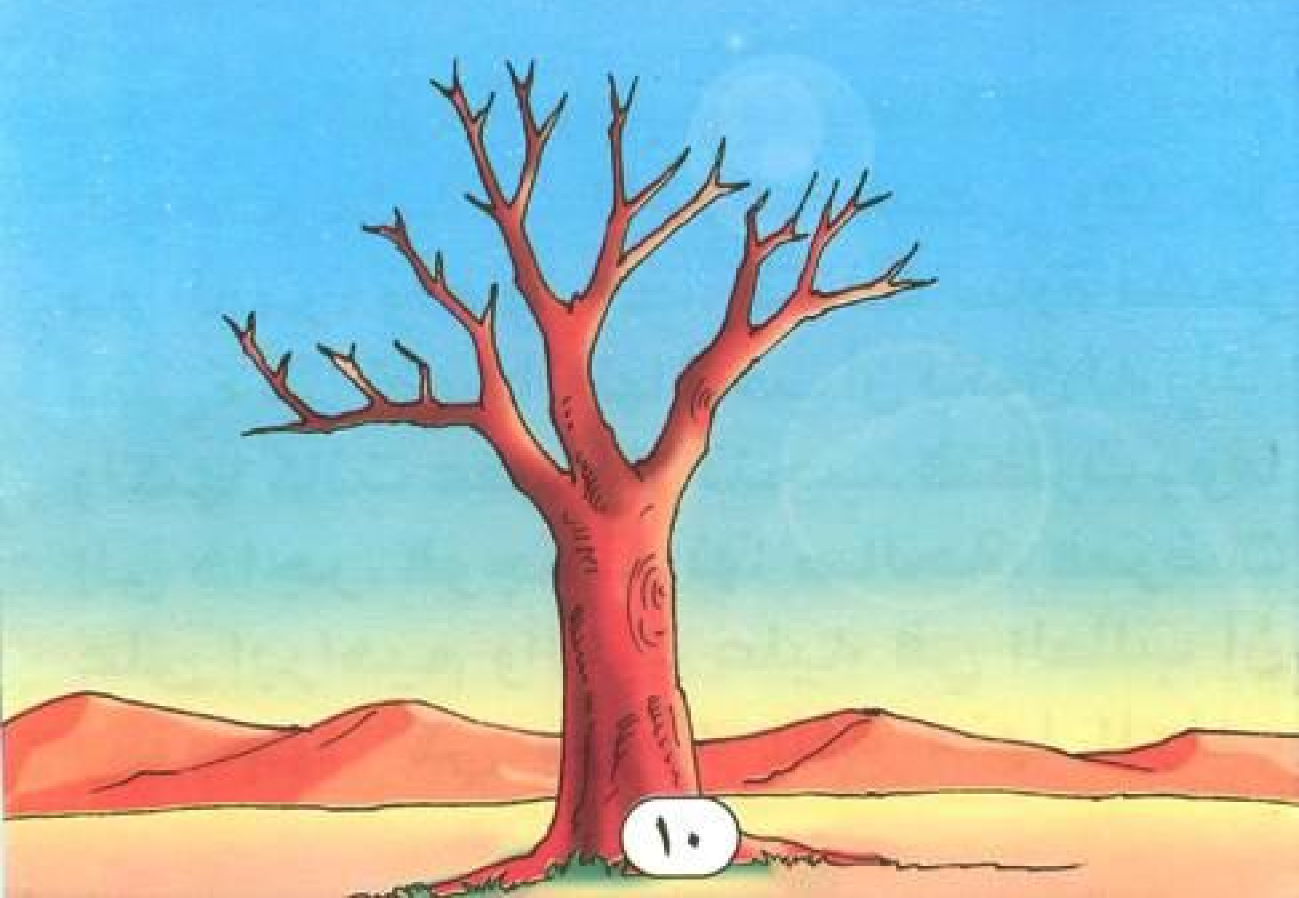
فخرجت سارة بالذهب ومعها خادمتها هاجر، وهي تحمد الله تعالى أن نجاها من ذلك الكافر.





وخرجت سارة وإبراهيم ومعهما هاجر، وكان إبراهيم عليه السلام دائم السفر، وقد مر به العمر، ولم ينجب، فكانت سارة تشعر بشيء في نفسها، إنها تحب أن يكون له ولد، ولكنها كانت عقيماً لا تنجب، فنظرت يوماً إلى هاجر، فوجدت أنها صالحة، فعرضت على إبراهيم وألحت عليه في الطلب أن يتزوجها، كي يرزقه الله منها الولد.

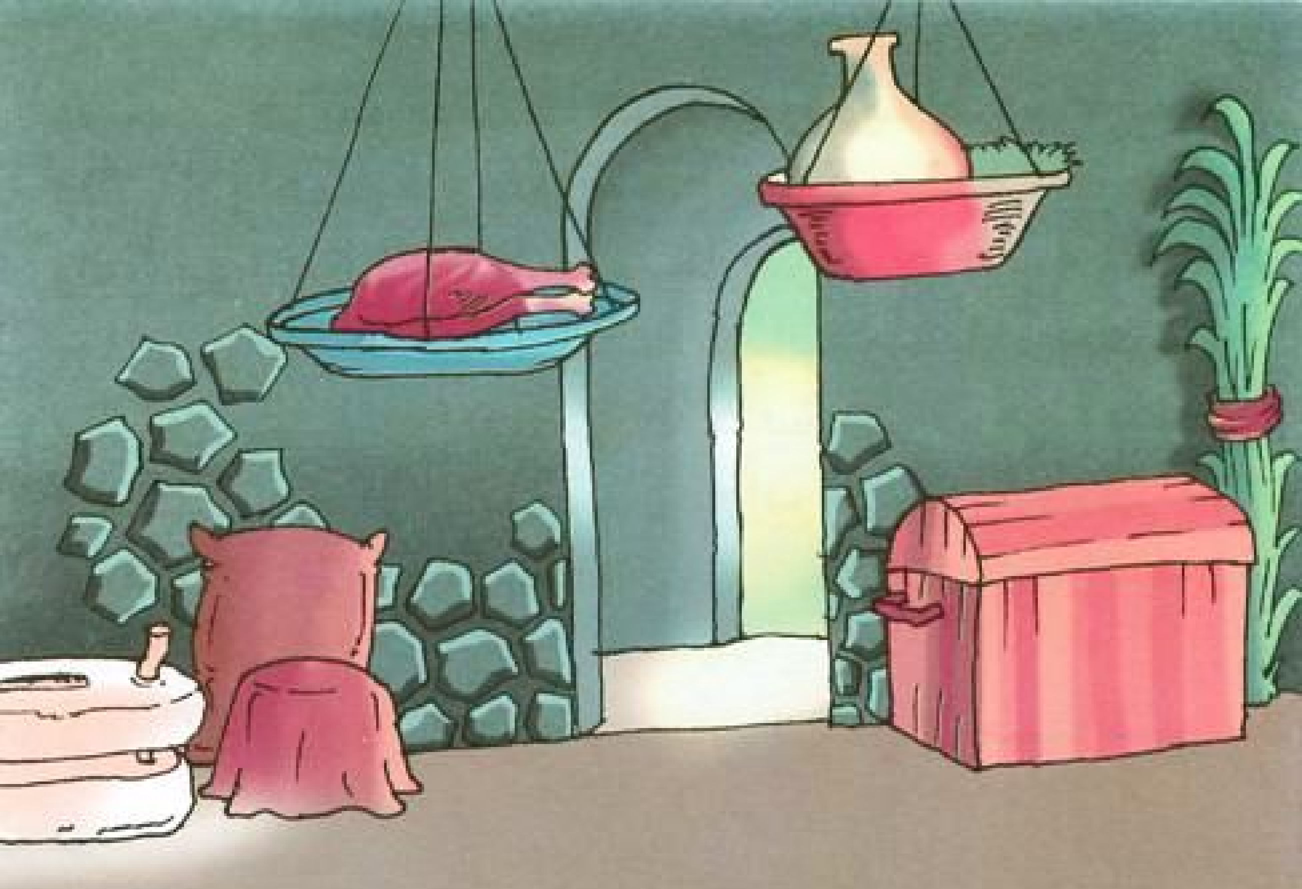
وتزوج إبراهيم -عليه السلام- من هاجر، ورزقه الله تعالى منها إسماعيل، ففرحت سارة، ولكنها كامرأة من النساء مازالت تتمنى أن تنجب ولداً، ولكن العمر أسرع بها، وأصبحت عجوزاً، ولم تنجب، فماتت أمنيتها، ولم تعد تفكر فيها مرة أخرى.



وسكنت هاجر وولدها في الجزيرة العربية، بينما بقى إبراهيم مع سارة، مع كثرة سفره وترحاله. وفي يوم من الأيام، وبينما إبراهيم عليه السلام جالس وحده، فإذا بثلاثة شباب جميلة وجوههم، يقبلون على إبراهيم، وهو لا يشعر، فرمى أحدهم ناحيته حصاة صغيرة، فرفع إبراهيم رأسه، فرآهم، فبادروه التحية، وقالوا له: سلاما، فرد عليهم التحية وقال: سلام.

ثم أخذهم إلى بيته ليكرم ضيافتهم.





ودخل إبراهيم على زوجته سارة، وأخبرها أنه قد جاءه ضيوف ثلاثة، لا يعرفهم، فهم غرباء، ولكن لا يبدو عليهم طول السفر، وسألها: هل عندك طعام؟ فقالت: نعم، نصف شاة. فقال لها: لا بل نذبح عجلاً سميناً، فهم غرباء، وربما كانوا فقراء، فقد كان إبراهيم عليه السلام يشتهر بين الناس بكرمه الواسع.



واختار إبراهيم عجلاً سميناً، وأمر أن يذبح، فأمسكه بعض خدمه، وسمى بسم الله تعالى وذبحه، وبدأ شواء العجل على الحجارة الساخنة.

ولما انتهى الخدم من إعداد المائدة، ووضعوا عليها العجل، وأشار إبراهيم إلى ضيوفه أن يأكلوا من العجل، وبدأ يأكل حتى يشجعهم، وأمر أن تقف زوجته قريبا زيادة في خدمتهم.

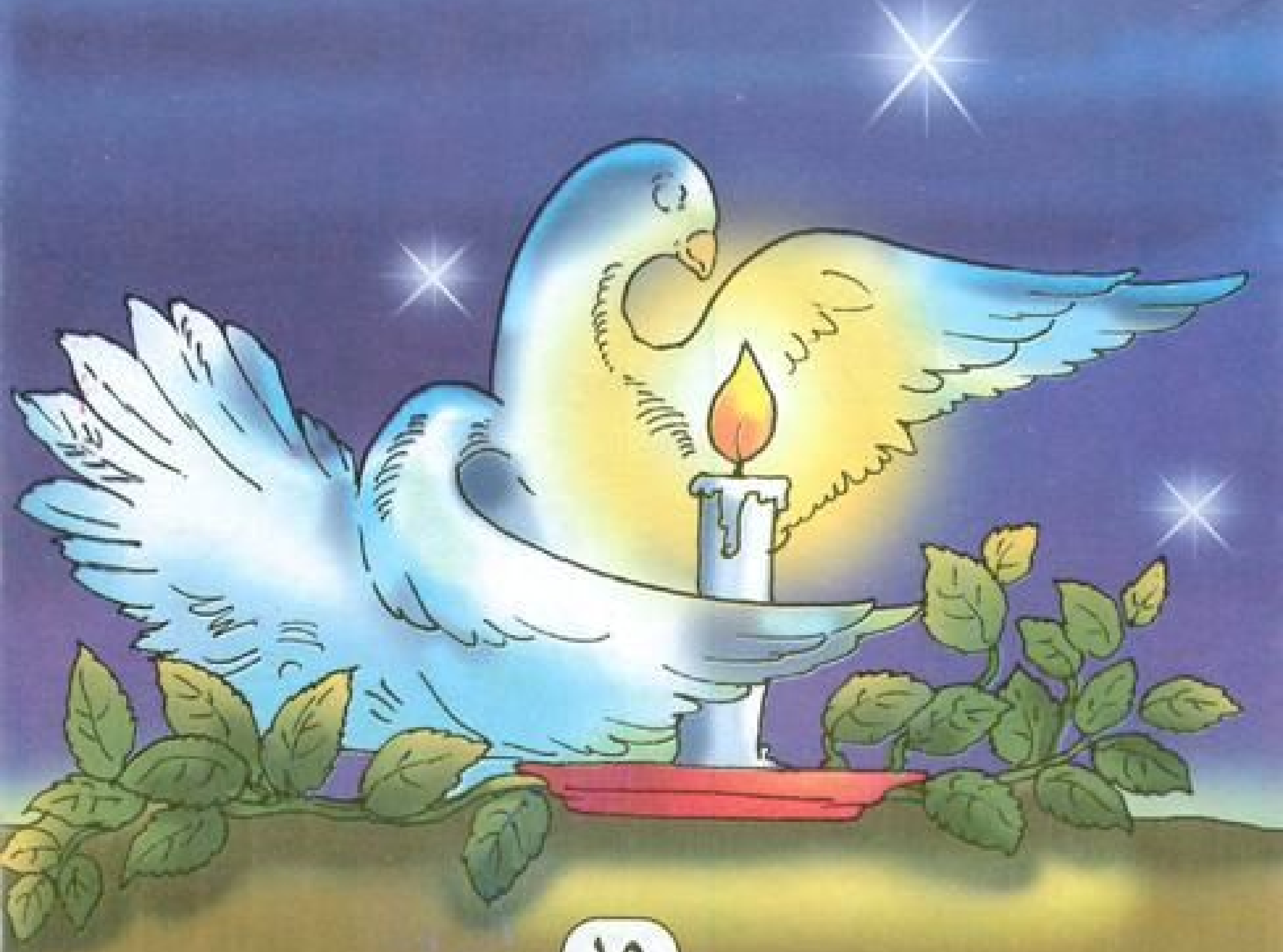
ولكن الضيوف لم يأكلوا، وأحس إبراهيم بالخوف، لأن عدم أكل الضيف يعني أنهم يريدون بصاحب البيت شرا، وقرأ الشبان الثلاثة ما يدور في عيون إبراهيم، فقال أحدهم: لا تخف، نحن ثلاثة من الملائكة جئنا لمهمة عاجلة، ولنبشرك بإسحاق ولداً من سارة.



وكانت سارة تتابع الحديث، وقالت وهي لا تكادٍ تصدق نفسها: أألد وقد أصبحت عجوزا قد ابيض شعري، وزوجي أصبح شيخاً كبيراً؟ إن هذا شيء عجيب.
فرد أحد الملائكة قائلاً: لا تعجبي من رحمة الله، إن هذا من بركات الله تعالى عليكم أهل البيت.
ونظر إبراهيم لسارة، ونظرت سارةٍ لإبراهيم، وبشرتهما الملائكة أن الله سيرزقهما ولداً اسمه إسحاق، وأن إسحاق سيعيش ويولد له يعقوب.
فلم يدر إبراهيم كيف يشكر الله تعالى، فخر ساجداً، يحمد الله على نعمه العظيمة، وحمدت سارة ربها، أن حقق لها أمنيتها.

وأحست سارة بالحمل يتحرك في أحشائها، وولدت إسحاق، فكانت فرحة غامرة، لقد بدأ الأمل يبث مرة أخرى في حياة سارة، وكان إسحاق مكافأة لها على صبرها.

وكانت سارة تحب إسحاق حبًا شديدًا، وتخاف عليه، وكان إبراهيم يشارك سارة في هذا الإحساس، فقد أصبح له ولدان، إسماعيل، وإسحاق. وعادت عاطفة الأمومة تحيي حياة سارة، وهي في الكبر، حتى شب إسحاق، وأصبح شابًا من الصالحين.



ولما بلغ إسحاق مبلغ الرجال، أوحى الله تعالى إليه، وجعله نبيًا من أنبيائه، فقد تربى في بيت النبوة على يد أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام. وقد تزوج إسحاق، ورزقه الله تعالى يعقوب، وقد عاشت سارة حتى رأت حفيدها يعقوب، وتذكرت وعد الله على لسان الملائكة، فحمدت الله تعالى. وظل إسحاق عليه السلام يدعو إلى الله تعالى في قومه، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحمل الرسالة التي حملها أبوه إبراهيم وأخوه إسماعيل عليهم الصلاة والسلام.

